

حق الطفل المريض في الرعاية الصحية في ظل الشريعة الإسلامية

الأستاذة: العربي خيرة
أستاذة محاضرة أ- جامعة وهران 2 محمد بن احمد- الجزائر
عضو بمخبر حقوق الطفل¹

تاريخ النشر: 2018/12/31

تاريخ القبول النهائي: 2018/10/25

تاريخ الإرسال: 2018/03/22

الملخص:

أولت الشريعة الإسلامية اهتماما كبيرا بصحة الطفل المريض الذي يكون بحاجة ماسة إلى رعاية صحية كاملة من خدمات وقائية وعلاجية وتأهيلية في الكثير من الآيات والأحاديث النبوية حتى يعيش في بيئة صحية سليمة وقد كرس ميثاق الطفل الإسلامي ذلك في جملة من النصوص الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الطفل المريض؛ الرعاية الصحية؛ الوقاية؛ العلاج؛ الشريعة الإسلامية.

Abstract:

Islamic law has shown great interest for child's health, when he is sick, he needs full health care among preventive, therapeutic and rehabilitative services, in many Ayat and prophetic wisdoms, in order to live in a healthy environment. The Child Islamic Charter has presented those rights in many Islamic texts.

Keywords: child's health; full health; protection; care; Islamic texts.

¹ البريد الإلكتروني: ayalarabi50@gmail.com

مقدمة:

إنَّ صحة الطفل لا تعني خلوه من الأمراض فحسب بل تعني عافيته من الناحية الجسدية والعقلية والنفسية، فالصحة هي حق مقرر له في الشريعة الإسلامية منذ وقت طويل، وعلى نحو مبهر، ومعجز وفي زمن لم يكن قد عرف فيه بعد ما يسمى بحقوق الإنسان²، أو أدرك أهميتها بالنسبة للطفل فهي تتسم بالعالمية لأنَّها لم تخاطب مجتمعاً بعينه أو جماعةً من الناس أو عرقاً محدداً أو أطفالاً معينين وإنما جاءت لكافة البشر على اختلاف أجناسهم ولكافة الأطفال على اختلاف أعمارهم. لأنَّها منحة ربانية خالصة تهدف إلى تكوين الطفل وتقويته وجعله سليماً صحياً باعتباره إنساناً ضعيفاً مصداقاً لقوله تعالى: " وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " ³ فالطفل ضعيف لا يقدر على رعاية نفسه بنفسه إلا بوجود من يرعاه ويعالجه ويسهر على خدمته صحياً في حالة مرضه، وتعددت هذه العناية الصحية في الإسلام بتعدد وضعية الطفل المريض فمنها ما هو وقائي كالتغذية الصحية، والنظافة وغيرها من التدابير التي تقرر للطفل قبل حدوث المرض، ومنها ما هو علاجياً أي خضوع الطفل المريض لفحوصات طبية لتشخيص المرض وتلقي العلاج المناسب له حسب حالته الصحية نفسياً أو عقلياً أو جسدياً والغرض من ذلك هو أن ينمو هذا الطفل معافياً قويا في إيمانه وفي نفسه وفي جسمه وفي عقله لأنَّه هو قائد الأمة في المستقبل وحاميها.

² عبد العزيز مخيمر عبد الهادي، حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي دراسة مقارنة، مطبوعات جامعة الكويت، سنة 1994، الطبعة الأولى، ص: 7.

³ سورة النساء، الآية رقم 28.

يجدر البيان، أنّ ميثاق الطفل في الإسلام قد كرس هذه العناية في قاعدة قانونية صريحة حتى يتماشى مع القوانين الوضعية من جهة - خاصة اتفاقية حقوق الطفل -، ومن جهة أخرى حتى يؤكد على أنّ الشريعة الإسلامية هي السبّاقة في تكريس هذه الرعاية الصحية للطفل وأيضا لكي يبيّن قصور القوانين الوضعية في اهتمامها بصحة الطفل وعدم إلمامها بكل مجالات الرعاية على عكس الشريعة الإسلامية التي شملت كل حقوق الطفل، وعلى رأسها حقه في أعلى مستوى صحي وهو ما أكدّه ميثاق الطفل في الإسلام في المادة 9 منه تحت عنوان: الرعاية الصحية بقولها: " للطفل حق التمتع بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه، وله حق استخدام مؤسسات الوقاية والعلاج وإعادة التأهيل "، كما سيأتي بيانه لاحقا.

كما تجدر الإشارة، إلى أنّ بعض مجالات الرعاية الصحية للطفل تخص الطفل وحده لكن من جانب آخر يشترك معه البالغ أيضا، لهذا لا مناص من التطرق إليها على اعتبار أنّها تهم الطفل المريض بالدرجة الأولى.

هذا ما يؤكد أنّ الشريعة الإسلامية لم تغفل عن الجانب الصحي في حياة الطفل بل عاجلته من خلال منهجية سليمة وواضحة علاوة على إرشادات نبوية عظيمة تناولت الكثير من الأساليب التي من خلالها يتمكّن الطفل من الحفاظ على صحته، وقوته، وعافيته.

تحقيقا لذلك، نطرح الإشكالية التالية: في ما تتمثل الرعاية الصحية للطفل المريض في ضوء الشريعة الإسلامية؟، والتي تتفرع عنها تساؤلات، ماهي الأسباب المؤثرة على صحة الطفل؟ وما هي مظاهر الرعاية الصحية للطفل المريض التي أكد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؟

لتوضيح مدى حاجة الطفل إلى رعاية صحية، وعناية خاصة واهتمام كبير من قبل أسرته ينبغي التطرق إلى الأسباب المؤدية إلى إصابته بالأمراض في المبحث الأول، الذي قسّم إلى مطلبين، أما المبحث الثاني، فكان حول مظاهر الرعاية الصحية للطفل المريض في ظل الشريعة الإسلامية حيث قسّم هو الآخر إلى مطلبين.

المبحث الأول: الأسباب المؤدية إلى إصابة الطفل بالأمراض

لقد صحّ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَوْلُهُ: "نِعْمَتَانِ مَعْبُودُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"⁴، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَانِيٌّ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"⁵.

من هذا المنطلق، يتضح مدى أهمية الصحة والعافية بالنسبة للطفل على الخصوص لأنّه ينمو نموا سليما، أما إذا أصيب في صحته، فإنّه ينمو ضعيفا غير قادر على تحمل مشاق الحياة، فقد يتعرض الطفل إلى الكثير من الظروف والعوامل تؤثر على صحته وراحته، وهي عوامل قد تصيبه قبل ولادته أو بعدها، ولهذا وبالرجوع إلى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بشأن الصحة، نجد أنّها وضعت الأسس السليمة والصحيحة للرعاية الصحية والطبية، كما أرست أقوال وأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجال الصحي و كيفية الاستطباب قواعد ساهمت في تقدم الطب في الحضارة الإسلامية وهو ما يعرف الآن بالطب النبوي.

⁴ أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، الحديث رقم 6412، ص: 1598.

⁵ أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، 34، الحديث رقم 2346.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن لنا التدابير والوسائل التي نحمي بها أنفسنا وأجسادنا وعقولنا من الأسقام و الأخطار الصحية وهي تدابير عامة تخص البالغ والطفل لأنها ترعى صحة الإنسان دون تمييز حتى يصير قويا سليما لا ضعيفا سقيما، ويكون أحب إلى الله عزّ وجلّ مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف" ⁶، كالحثّ على الرياضة وآداب الأكل وغيرها من القواعد الصحية، وهناك من التدابير تخصّ فقط الطفل وحده مثل الرضاعة والنظافة... إلخ، كل ذلك سوف يأتي بيانه لاحقا.

فعند مخالفة هذه القواعد الصحية وعدم التزام بالأساليب الشرعيّة والعلميّة التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة لحفظ الطفل من أخطار الأمراض والأوبئة، وعدم تحقيق الوقاية الكافية له من أيّ أذى ممكن أن يلحق به، فيتضرر الطفل نفسيا، جسديا وعقليا، وبالتالي يكون من يسهر على رعايته مسؤولا عن ما آل إليه هذا الطفل مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَإِلِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّحْلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قال: فسمعتُ هؤلاء من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحسبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: وَالرَّحْلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" ⁷.

⁶ أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، الحديث رقم 2664، ص 1229.

⁷ أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده. ونسب النبي صلى الله عليه وسلم المال إلى السيد، الحديث رقم 2558، ص 218.

إذن، هذه الأسباب المؤثرة على صحة الطفل تمّ تقسيمها إلى مطلبين: تضمّن المطلب الأول، عدم الاهتمام بالأم أثناء فترة الحمل وبعد الولادة، أما المطلب الثاني: فخصّص لانعدام الوعي الصحي عند الأسرة.

المطلب الأول: عدم الاهتمام بالأم أثناء فترة الحمل وبعد الولادة

يتمّ توضيح هذه الأسباب التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر على صحة الطفل، في فرعين: يتناول الفرع الأول، إهمال الأم الحامل و آثاره الصحية على الجنين، أما الفرع الثاني، فكان حول إهمال الطفل بعد الولادة.

الفرع الأول: إهمال الأم الحامل وآثاره الصحية على الجنين

لقد كفل الإسلام للطفل حق الحياة⁸، وحرّم كل أنواع الاعتداءات التي تمس هذا الحق، وسوّاه في ذلك مع الإنسان البالغ منذ أن يتكون جنينا في بطن أمه إلى أن يخرج إلى الوجود ثمّ يتدرّج في مختلف مراحل نموه⁹، لأنّ الحياة منحة من الله عزّ وجل وأنّ قتل النفس جريمة مصداقا لقوله تعالى: " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِعَظْمِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا " ¹⁰.

فقتل النفس يتخذ صوراً عديدة فقد يكون بإجهاض الجنين أو بإهمال المرأة الحامل وبالتالي إهمال للجنين أيضاً، والإهمال تتعدد صورته فقد يتمثل في تخلي الزوج عن واجباته الزوجية كعدم النفقة التي تشتمل على العلاج والغذاء والملبس والمسكن

⁸ عبد العزيز إسماعيل أحمد، الإسلام وحقوق الطفل، مجلة الإسلام، العدد 69، السنة الثامنة عشر، 1997، ص: 104؛ وعروبة جبار الخزرجي، حقوق الطفل بين النظرية و التطبيق، دار الثقافة، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2009، ص: 50.

⁹ محمد زرمان، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، دار إقرأ، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص: 21.

¹⁰ سورة المائدة، الآية رقم 32.

وكل ما هو من الضروريات، فرفض الزوج معالجة الزوجة الحامل رغم علمه بمرضها يعد إهمالاً للجنين الذي يتأثر بكل مؤثرات الأم و قد يحمل آثاراً وأمراضاً خطيرة في المستقبل¹¹.

فإهمال الأب للحامل والجنين هو مخالفة لأوامر الله الذي حثَّ على العناية بهما، باعتبار صحة الجنين مرتبطة بصحة أمه، وقد أخبرنا الله عزَّ وجلَّ أن فترة الحمل فترة شاقة متعبة، حيث قال تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ¹²، وقال تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا¹³".

فقد ثبت أنَّ أي مرض يصيب الأم الحامل في شهورها الثلاثة الأولى يكون له أثر على الجنين لأنَّه ليس له مناعة تقاوم الفيروسات فلا يستطيع تكوين أجسام مضادة لها، فإذا انتقل إليه فيروس أو بكتريا عن طريق المشيمة، فتؤدي به إما إلى إجهاضه أو إعاقته نموه و بالتالي قد يولد مشوهاً¹⁴.

هذا التنبيه القرآني المتكرر لخطر فترة الحمل لا يشير فقط إلى ضرورة الإحسان إلى الأم بسبب تحملها هذه المشاق، وإنما يشير من جهة أخرى إلى ضرورة رعاية الحامل والجنين بما تتطلبه هذه الفترة من عناية وراحة وتغذية وعلاج.

بناءً على هذا، ورد في النصوص الحث على رعاية المرأة الحامل، والعمل على راحتها، وتوفير الغذاء لها، قال تعالى: " أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا

¹¹ صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التطوري، الطفولة و المراهقة، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2004، ص: 109.

¹² سورة لقمان، الآية رقم 14.

¹³ سورة الأحقاف، الآية رقم 15.

¹⁴ صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التطوري، الطفولة و المراهقة، المرجع السابق، ص: 99.

تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْنَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوْا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسْتَزْعُ لَهٗ أُخْرَى¹⁵.

كما يتمثل الإهمال في عدم مراعاة الحالة النفسية و الانفعالات التي تعاني منها الأم الحامل والتي تنعكس على الجنين فتسبب له اضطرابا في نقص أو زيادة إفراز الهرمونات، كما تؤدي به إلى نقص في نمو العظام أو الضعف العقلي.

إذن، تتجلى الرعاية الصحية للجنين، في وجوب إبعاد أمه عن كل المؤثرات النفسية التي يكون من ردود فعلها إسقاطه أو تشويه خلقته، وسواءً كانت هذه المؤثرات حسية أو معنوية، بحيث كثيرا ما يكون للانفعالات المزعجة أثرها السلبي على صحة الجنين إن لم تتسبب في إسقاطه¹⁶.

راعت الشريعة الإسلامية هذا الجانب النفساني والصحي للمرأة الحامل عندما أخبرنا الله عزّ وجلّ عن الحالات والاضطرابات النفسية التي تتعرض لها الأم وهي تحمل جسما آخر في جسمها بمشقة و تعب، كما أوجب على الزوج حسن معاملة ومعاشرة زوجته بالمعروف وجعل ذلك من الإيمان والتقوى لقوله سبحانه وتعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"¹⁷، ووجوب حسن المعاشرة بينهما ورد لصالحهما وصالح

¹⁵ سورة الطلاق، الآية رقم 6.

¹⁶ بنزيلة أحميدة، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية قسم الشريعة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006-2007، ص 450.

¹⁷ سورة الحجرات، الآية رقم 13.

الطفولة لأثر حالة المرأة النفسية على الجنين والطفل¹⁸، وأي خطر تتعرض له الحامل قد يحمل آثارا مستقبلية خطيرة على ولدها¹⁹.

هناك إهمال آخر، تعاني منه الأم الحامل وهو سوء التغذية، لأنّ سوء التغذية له تأثير سلبي على تطور الدماغ فيكون التطور العقلي عند الأطفال بالنسبة للأمهات اللواتي لا يكثرنّ بنوع غذائهنّ أثناء فترة الحمل متأخرا و بطيئا، كما يؤثر على تكاثر خلايا الدماغ التي وجد أنّها تتكاثر في مرحلة ما قبل الولادة عن طريق الانقسام المباشر، و أنّ سوء التغذية²⁰ لا يجعلها قادرة على الانقسام مما يسبب إعاقة كبيرة ودائمة بحيث ينمو دماغ الجنين بعدد من الخلايا أقل من عددها عند الطفل العادي في مثل سنه²¹.

إلى جانب تناول الأم الحامل للتغذية غير الصحية، فإنّها قد تتناول التبغ والمخدرات أو بعض الأدوية المحظورة، كلها أغذية لها تأثير سلبي على تكوين الجهاز العصبي و الجسدي للجنين كتأخر النمو وصغر محيط الرأس والتخلف العقلي والتشوهات في العين والأذن والقلب²².

¹⁸ ليلي عبد الله سعيد، حقوق الطفل في محيط الأسرة، دراسة مقارنة، مجلة الحقوق، جامعة الكويت، الكويت، العدد 3، السنة الثامنة، 1984، ص: 218.

¹⁹ هلالى عبد الله أحمد، التزامات الحامل نحو الجنين بين التحريم الجنائي و الإباحة، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة الأولى، سنة 1992، ص: 20.

²⁰ يعرف سوء التغذية بأنه حالة مرضية تحتاج جسم الإنسان عندما لا يحصل على العناصر الغذائية الأساسية اللازمة له من وجبات غذائه، أو الزيادة الكبيرة في استهلاك الطعام الذي يحتوي على العناصر الغذائية المتنوعة، راجع محمد عبد السلام محمد، التغذية الصحية السليمة، الموقع الإلكتروني <http://faculty.ksu.edu.sa>، تاريخ الاطلاع 2018/06/03، على الساعة 22.00.

²¹ شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2004، ص: 56.

²² شفيق علاونة، المرجع و الموضع السابقين.

ينبغي على الأم الحامل أن تكون واعية بأنواع الغذاء الذي تتناوله في فترة الحمل و القيمة الغذائية لهذه الأغذية والفيتامينات المتوفرة في كل نوع حتى توفر لجنينها ما يستلزمه نموه، ذلك لأن الجنين يتغذى من الأم مباشرة عن طريق الحبل السري، ولا يقتصر أثر الغذاء على الجوانب الجسمية التكوينية وإنما يتعدى ذلك ليؤثر على تركيب الدماغ و بنية الجهاز العصبي²³. ومنه حضّت الشريعة الإسلامية على حماية صحة الجنين بتغذية والدته تغذية جيدة حتى يتكون الجنين تكويناً سليماً²⁴.

بناء على ما سبق ذكره، وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد الله سبحانه و تعالى قد أمر برعاية المرأة الحامل، والعمل على راحتها، وتوفير الغذاء لها وكل ما هو من المستلزمات، إذ يقول تعالى: "أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ جُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضُوعٌ لَهُ أُخْرَىٰ"²⁵. بل أكثر من ذلك رخصت الشريعة الإسلامية للحامل الإفطار في شهر رمضان إذا كان في الصيام ضرر لها ولجنينها، وذلك على لسان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَعَنِ الْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ"²⁶.

²³ مفتاح محمد أقرم، الحماية القانونية للجنين بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بدون طبعة، سنة 2004، ص: 42.

²⁴ عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الغذاء، دار الراتب الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000، ص 47.

²⁵ سورة الطلاق، الآية رقم 6.

²⁶ أخرجه النسائي، ذكر وضع الصيام عن المسافر، ص 180.

الفرع الثاني: إهمال الطفل بعد الولادة

للطفل الحق في الحصول على الرعاية الصحية اللازمة لضمان بقائه ونموه، كما من حقه الحصول على الخدمات الصحية ومرافق العلاج و التحصين ضد الأمراض، وذلك كله من أجل خفض حالات الوفيات التي تحدث بالنسبة للرضع والأطفال.

بطبيعة الحال ينبغي تجسيد حق الطفل في الرعاية الصحية بأن نبعد عنه قدر المستطاع كل مرض قد يؤثر على صحته، إذ لا بد من السعي إلى وقايته من البداية وذلك بإتباع جملة من الفحوصات تقوم بها الأم أثناء فترة الحمل وبعد الولادة.

يعتبر سوء التغذية أحد الأسباب الأكثر انتشارا وهو عامل رئيسي في ارتفاع معدل الوفيات لدى الرضع والأطفال صغار السن، وقد أثبتت الدراسات أن كثيرا من الأمراض والتشوهات التي يولد الطفل مصابا بها تكون نتيجة عوامل غذائية ونفسية حصلت للأم في فترة الحمل²⁷.

يعد حليب الأم أفضل غذاء للطفل لأنه يحتوي على جميع الأغذية المتنوعة أي يعتبر غذاء كاملا، فالطفل حديث الولادة ليس بحاجة إلى أغذية إضافية فهو يكتفي بالرضاعة فقط، لكن إذا بلغ الطفل شهره الرابع ينبغي على الأم أن تطعم طفلها أغذية أخرى مع حليبها وذلك لضمان استمرار نمو الطفل نموا سليما وصحيا ويتجلى مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بالرضيع حينما أمرت بالرضاعة سواء من قبل الأم أو من قبل المرضعة المستأجرة نظرا لأهمية الرضاعة الطبيعية التي أكدها الطب الحديث، وهنا يقول الله عزّ وجلّ: "والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد

²⁷ سهيل حسين الفتلاوي، حقوق الإنسان، دار الثقافة، عمان، الطبعة الأولى، سنة 2007، ص: 201.

أن يتمّ الرضاعة²⁸، ويقول عليه الصلاة والسلام: "الرَضَاعَةُ مِنَ الْجَمَاعَةِ"²⁹، أي إذا جاع الصغير أشبعه الحليب لا الطعام³⁰.

لكن المؤسف له، أنّ الأم لا تعي أهمية الرضاعة الطبيعية³¹، فنجد بعض الأمهات تمتنع عن إرضاع أطفالهن الحليب الطبيعي وتقدمنّ لهم الحليب الاصطناعي، وهو ما يشكل خطورة على صحتهم، بحيث لا تكون لهم مناعة ضد الإسهال وإصابات الجهاز التنفسي، ولا يتمتعون بالذكاء وغيرها من الأمراض الناتجة عن الحليب الاصطناعي³². وهنا يتأكد مدى أهمية الرضاعة الطبيعية التي أوجبهها الله تعالى على الأم وجعلها للولد ولا يمكنها مخالفة هذا الأمر الإلهي إلا إذا كان بما علة تمنعها من ذلك، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: "لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا"³³،

²⁸ سورة البقرة، الآية رقم 233.

²⁹ أخرجه مسلم، كتاب الرضاعة 17، باب الرَضَاعَةُ مِنَ الْجَمَاعَةِ 8، الحديث رقم 1455-32، ص 655.

³⁰ العربي بختي، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، سنة 2013، ص: 32.

³¹ لأنّ الرضاعة لها أهمية بالغة بالنسبة إلى الطفل، فلبن الأم أفضل من اللبن الصناعي باتفاق الأطباء، فالطفل قد تكوّن من دم أمه وهو في أحشائها، فلما برز إلى الوجود تحوّل الدم إلى لبن يتغذى منه وهو منفصل منها، فهو الذي يلائمه في التغذية، وهو سائر معه بحسب سنه، ولا يخشى على الطفل منه من علة بدنية أو خلقية تكون فيه، تفسير المراغي، أشار إليه محمد زرمان/ حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص: 33 و 34.

³² عبد الرحمن عبيد مصيقر، تغذية الطفل في الخليج العربي، مضامينها الاجتماعية و التربوية، الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية، الكويت، بدون طبعة، سنة 1990، ص: 7.

³³ سورة البقرة، الآية رقم 233.

ويقول جلّ و علا: " وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ³⁴، وهنا نستنتج أنّ مخالفة هذه القواعد الصحية الشرعية يؤدي إلى إلحاق الأذى بالطفل ³⁵.

المطلب الثاني: انعدام الوعي الصحي عند الأسرة

سوف نتناول في هذا المطلب أسبابا أخرى تؤدي إلى إصابة الطفل بالأمراض نتيجة عدم التزام أسرته بالأسس الصحية التي نادى بها الشريعة الإسلامية وعدم مبالأتها بصحة ابنها ويرجع ذلك إما لعدم اكتراثها بالطفل أو إلى عدم ثقافتها ووعيها في المجال الصحي.

يقصد بالوعي الصحي عند الأسرة هو إلمامها بالمعلومات والحقائق والأساليب الصحية وإحساسها بالمسؤولية ³⁶ نحو صحة أفرادها من خلال الممارسة

³⁴ سورة القصص، الآية رقم 7.

³⁵ كما أوضحت بعض الدراسات أيضا: " أنّ الطفل المصاب بسوء التغذية يكون قليل القدرة على التخيل وسريع التأثر والانفعال، ويشعر دائما بعدم الأمن والاستقرار ويرجع ذلك إلى ضعفه وعجزه، كما أنّ النطق يبدأ عند هذا الطفل بشكل متأخر، وبالتالي فإن اتصاله مع الآخرين محدود وتفاعله مع البيئة المحيطة به ضعيف وقد يؤثر ذلك على تحصيله الدراسي وطاقته الإنتاجية كما يترتب عن سوء التغذية مشاكل صحية خطيرة جدا، فافتقار الطفل للوجبات الغذائية الكاملة من خضار وفاكهة ينتج عنه ضعف الرؤية ليلا، وكذا نقص الأغذية يجعل الطفل هازلا، ونقص الكالسيوم ينتج عنه داء الكساح... إلخ، أكثر من ذلك يصبح الطفل ميالا للعنف والسلوك غير الاجتماعي. راجع صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التطوري، الطفولة و المراهقة، المرجع السابق، ص: 97.

³⁶ مسؤولية الأسرة عند اكتسابها لهذه العادات الصحية، فإنّها تعود الطفل عليها قبل أن يتفهما أو يتعلم الأسس التي ترتكز عليها هذه العادات من الناحية الصحية. راجع توفيق محمد نصر الله، الوعي الصحي: نعرف .. لكن لا نفع، مجلة الإمامة، الرياض، بتاريخ 2016/05/12.

الصحية عن قصد نتيجة الفهم والافتناع لتحويل تلك الممارسات إلى عادات تمارس بلا شعور أو تفكير³⁷.

يرتبط مفهوم الوعي الصحي مع مفهوم الثقافة الصحية و التثقيف الصحي في كون الثقافة الصحية هي عبارة عن ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة، بهدف تغيير الاتجاهات و العادات السلوكية غير السوية، وكذلك مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات وممارسته العادات الصحية الصحيحة، في حين أنّ التثقيف الصحي هو عملية توجيه الأسرة والمجتمع لحماية نفسه من الأوبئة والأمراض المعدية ومشاكل البيئة المحيطة به، وما يلاحظ في هذه المصطلحات وإن اختلفت في معانيها و في الوسائل العملية و العلمية، إلا أنّها كلها تهدف إلى هدف واحد و هو حماية صحة الفرد داخل المجتمع.

لكن، وللأسف ليس كل أسرة لها هذا الوعي الصحي مما ينعكس على السلامة الصحية للأبناء، وفي هذا الإطار يقول الشيخ خالد عبد الرحمن العك، أنّ مشكلة ضعف مستوى الوعي الصحي وتربية العادات الصحية أمران يفتقر إليهما كثير من الأسر في المدن والقرى بصفة خاصة، فلا يزال عدد كبير من متقدمي السنّ وغيرهم يمارسون عادات سلوكية سيئة، كتناول الطّعام دون غسل اليدين والتأكد من نظافتهما، كما لا يجدون غضاضة في استعمال بعضهم للأدوات الخاصة ببعض الآخر، مثل تناول الفواكه و الخضروات دون الغسل الجيد لها قبل تناولها³⁸.

³⁷ أحمد محمد بدح وأمين سليمان مزاهرة وزين حسن بدران، الثقافة الصحية، دار المسيرة، عمان، الأردن، بدون سنة و بدون طبعة، ص:15.

³⁸ خالد عبد الرحمن العك، تربية الأبناء و البنات في ضوء الكتاب و السنة، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، سنة 2005، ص 323.

لتوضيح مدى ارتباط صحة الطفل بدرجة وعي الأسرة و على رأسها والديه بالأسس والضوابط الصحية الشرعية التي يتطلب منها معرفتها و الإلمام بها، سوف نتناول في الفرع الأول، عدم اهتمام الأسرة بأسس الرعاية الصحية للطفل، أما الفرع الثاني، فكان حول عدم التزام الأسرة بالرعاية الصحية الأولية للطفل المريض داخل البيت.

الفرع الأول، عدم اهتمام الأسرة بأسس الرعاية الصحية للطفل

إنّ انعدام الوعي الصحي لدى الأسرة يعد من أخطر الأسباب المؤدية إلى تدهور صحة الطفل، لعدم إدراك المخاطر التي قد يتعرض لها الابن في حالة إهماله صحياً وفي حالة عدم اتباع الوالدين للأسس الصحية السليمة خاصة تلك المتعلقة بالنظام الغذائي المتوازن، و النظافة، وممارسة الرياضة.

يعتبر التوازن الغذائي من الأولويات التي ينبغي على الوالدين مراعاتها عند إطعام أبنائهم لما لها من فوائد عقلية وجسدية وصحية وذلك بتقديم وجبات الغذائية بانتظام لا إفراط و لا تفريط.

كما هو معلوم، أنّ الإفراط في الأكل يكون السبب فيه راجعاً لعادات والثقافة الغذائية للأسرة، أو لعوامل وضغوط نفسية مختلفة، فبعض الآباء والأمهات يرون أن من واجبهم إجبار الطفل على الأكل منذ الصغر، لأنهم يفترضون خطأ أن الطفل النشط الذي يتمتع بصحة جيدة، هو الذي يتمتع بشهية جيدة، وأنه في حاجة دائمة إلى كميات كبيرة من الطعام حتى تتناسب والمجهود والحركة التي يبذلها ولا بد أن يتناول كميات من الطعام تفي بحاجته حتى يستمر في حركته ونشاطه³⁹. لكن

³⁹ أشارت دراسة أجريت مؤخراً في مركز البحوث العلمية في القاهرة على 950 شخصاً إلى أن خطر السمنة يبدأ حينما يزيد الوزن بنسبة 20% عن الوزن المطلوب بالنسبة لطول الطفل وسنه وجسمه. لكن المشكلة أن الأهل لا يلحظون السمنة إلا بعد 6 سنوات على الأقل من بدايتها، فتكون النسبة قد ارتفعت إلى 40 أو 50% =

إذا لم يحرص الأبوين على هذا النظام الغذائي فإنّ العواقب تكون خطيرة، فقد بيّن أخصائيو التغذية والصحة العامة على أن الإفراط في الأكل يؤدي إلى زيادة في الوزن⁴⁰.

أمام هذه النتائج العلمية التي توصل إليها العلماء، حول سلبيات الإفراط في الأكل وعدم الانتظام ما هو إلا نتيجة حتمية نبهت إليها الشريعة الإسلامية منذ نزول القرآن الكريم الذي بيّن أنّ من أعظم ما أنعم الله سبحانه وتعالى به على عباده أن سخّر لهم ما في الأرض جميعاً منه، وأنزل عليهم النعم، وأباح لهم الطيبات من المأكّل والمشرب والملبس وغيرها، ولكن سبحانه وتعالى أيضاً ذم كلّ من يسرف في استعمال هذه المباحات، أو يترخص فيها ترخصاً يؤذيه، أو يشغله عن ما هو أنفع له في دينه ودينه، فهو بذلك يحرم على المسلم أن يكثر من الأكل على وجه يضره، لأنّ ذلك من الإسراف والإسراف حرام⁴¹، لقول الله سبحانه وتعالى: " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"⁴².

من مظاهر النظافة في الشريعة الإسلامية سنن الفطرة، وهي عبارة عن بعض السلوكيات التي تعني بنظافة الإنسان، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الْفِطْرَةُ خَمْسٌ أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْحِثَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَتَنْفُ الْإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ"⁴³.

=والنتيجة أن 77% من الأطفال العرب يعانون من السمنة.راجع الشراهة والسمنة عند الأطفال، منشور بالموقع الإلكتروني <https://v.3bir.net> تاريخ الاطلاع 2018/05/06، على الساعة 12.00⁴⁰ راجع إفراط الطفل في الأكل يرتبط بثقافة الأسرة، وبالموقع الإلكتروني <http://www.alittihad.ae> تاريخ الاطلاع 2018/06/03، على الساعة 11.55.

⁴¹ فتاوى اللجنة الدائمة 22/329

⁴² سورة الأعراف، الآية 31.

⁴³ أخرجه البخاري، كتاب اللباس 77، باب قص الشارب، الحديث رقم 5889، ص: 1486.

إنّ قواعد النظافة، المتمثلة بعضها في الخصال الخمس السابقة الذكر والمسماة بـ "سنن الفطرة" جاءت متفقة تماماً مع ما كشف عنه الطب الوقائي، وإنّه من العجيب بل من المعجز أن تصدر هذه التوجيهات من نبي أمي وتكون متطابقة في جميعها مع اكتشافات الطب الوقائي، وهو علم من العلوم الحديثة لم يتبلور ولم يظهر للوجود إلا بعد اكتشاف علم الكائنات الدقيقة بأنواعها وخواصها المختلفة، وبعد التقدم العلمي والتقني الهائل في معرفة مسببات الأمراض، والذي لم يحدث إلا في القرن العشرين، فكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أول من وضع أصول الطب الوقائي، وهكذا أثبت العلم سبق القرآن الكريم والسنة النبوية في الإشارة إلى الكائنات الدقيقة، وكيف قدم التشريع الإسلامي أنجح السبل في القضاء عليها، وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها⁴⁴.

كما يعتبر عدم وعي الأسرة بأهمية النظافة له تأثير سلبي على صحة الأبناء، كعدم الاهتمام بنظافة فم وأسنان أبنائهم يؤدي إلى تراكم البكتيريا التي قد تُسبب تسوس الأسنان وأمراض اللثة التي ثبت مؤخراً أنّها تسبب مرض السرطان، عدم تناول الطعام النظيف والخالي من البكتيريا خاصة بالنسبة للحوم والدواجن والبيض، وعدم غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، أو بعد لمس الحيوانات والحشرات، مما يسهل على انتشار البكتيريا والفيروسات و تكاثرها في جسم الطفل فتسبب له أمراضاً⁴⁵، عدم تنظيف مكان السكن بشكلٍ دوريّ كالأسطح والأرضيات والأفرشة وعدم

⁴⁴ عادل الصعدي، سنن الفطرة"، صادر عن جامعة الإيمان، دولة اليمن "صنعا"، بتاريخ 25 ماي 2018 على الساعة 12، على الموقع الإلكتروني:

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1748

⁴⁵ أحمد حلمي محمد، التربية الصحية، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1997، ص 36.

الاستحمام، وغيرها من قواعد النظافة التي تقتصر فيها الأسرة عن قصد أو عن غير قصد.

هناك أحاديث كثيرة تحدّثت عن مجالات النظافة والطهارة كنظافة الأسنان، إذ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظهر حرصا خاصا بنظافتها فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْلَا أَنْ أَشُقُّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسُّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ"⁴⁶. فإذا تعود الطفل على هذه العادة، وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم، ومتواصل، فإنه يقضي على كثير من الأمراض، وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك، واحتوائه على مواد كيميائية تفيد الأسنان، وتقوي اللثة بشكل فعال⁴⁷.

الفرع الثاني: عدم التزام الأسرة بالرعاية الصحية الأولية للطفل المريض داخل البيت

قد يصاب الطفل بمرض وهو داخل البيت فيكون بذلك محتاجا إلى إسعافات أولية من قبل الأسرة ريثما يعرض على الطبيب لتشخيص المرض، ففي مثل هذه الحالة تكون وضعية الطفل حرجة إذ يحتاج فيها إلى من يراعاه صحيا، و الدور منوط هنا بوالديه خاصة الأم من أجل التخفيف عنه بعض الآلام، لكن هذا الواجب لا تدركه كل الأمهات إذ قد يجد الطفل نفسه مهملا، و بالتالي تزداد صحته سوءا. هناك حالات كثيرة يظهر فيها إهمال بعض الأسر و لا يلتزمون بالرعاية الصحية لأبنائهم، نظرا لعدم وعيهم بخطورة ذلك، ويتمثل في امتناع الآباء عن تقديم

⁴⁶ أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، رقم 11، باب السواك يوم الجمعة 8، الحديث رقم 887، ص: 215.

⁴⁷ محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العالمن، دار بن كثير، الطبعة الثالثة، سنة 2000، ص 381.

اللقاحات⁴⁸ إما كلياً أو عدم احترام مواعيدها المحددة من وزارة الصحة، كما يظهر إهمال الأسرة في عدم مراقبة درجة حرارة الطفل المصاب بالحمى المرتفعة وعدم تقديم الأدوية المسكنة لها و تخفيضها إلى الحد المعقول³⁷ بالمائة.

فارتفاع درجات الحرارة عند الأطفال من الأعراض الخطيرة التي يجب التعامل معها باهتمام، فهي مؤثر على الإصابة بمرض ما، أو أن جسم الطفل في حالة مقاومة شديدة لمهاجمة الميكروبات والفيروسات التي تسبب الأمراض، وإذا تخطت درجة الحرارة عن 40 %، يمكن أن تؤدي درجة الحرارة العالية إلى حدوث تلف بالمخ، إذا لم يتم التعامل معها قبل فوات الأوان، وقد يصاب الطفل بحالة من الهذيان والتخريف إذا زادت درجة حرارته عن 39%⁴⁹. وها هو رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يعطينا علاجاً شافياً للتخفيف من درجة حرارة الجسم بقوله: " إِنَّ الحُمَّى مِنْ فَيَّحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ"⁵⁰.

قد يتعرض الطفل إلى إصابات كالجروح و الحروق و النزيف وقد يعجز الوالدين عن تقديم الإسعافات الأولية له، فتزداد الخطورة سوءاً. والسبب في ذلك هو عدم الوعي الصحي لديهم، وبالرجوع إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تمّ علاجه في غزوة أحد لما أصيب بجرح بوجهه، وكسرت ربايعته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم تغسل الدم،

⁴⁸ اللقاح عبارة عن جرثومة أو فيروس تم إخضاعه لعوامل فيزيائية أو كيميائية بحيث أصبح ضعيفاً أو ميتاً وهو لا يقدر على إحداث المرض إنما يجرّس جسم الطفل على إنتاج المواد المناعية اللازمة للتعرف على هذا العامل الممرّض في المستقبل حتى لا يصاب الطفل بهذا المرض لاحقاً وهو ما يسمى بالأجسام المضادة.

⁴⁹ راجع أضرار ارتفاع درجة الحرارة عند الأطفال، منشور بالموقع الإلكتروني mawdoo3.com تاريخ الاطلاع 2018/06/03، على الساعة 22.00.

⁵⁰ أخرجه الترمذي، باب ما جاء في تبريد الحمى بالماء، الحديث رقم 2155، الجزء 3، ص 273.

وكان علي رضي الله عنه يسكب عليه بالمِحْنِ، فلما رأت الدم لا يزيد إلا كثرة، أخذت قطعة حصير، فأحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم، وهذا دلالة على أنّ الحصير المعمول بالبَرْدِي، يجبس الدم، كما أنّ هذا الرماد نافع إذا نفخ وحده، أو مع الخل في أنف الراعف قُطِع رُعافه⁵¹.

لكن مهما يكن من أسباب، فلا ينبغي التهاون في ترك الطفل مريضاً دون علاج خاصة وأنّ تعاطي الدواء والأخذ بوسائل الطب والصحة موافقٌ للعقل والشرع⁵²، فالأدوية أسباب خلقها الله تعالى ووسائل للشفاء من الأمراض فالأخذ بها أخذ بسنة الله في كونه، فعن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً"⁵³.

خلاصة القول، أنّ الكثير من الأمراض التي تصيب الطفل تكون نتيجة لإهماله منذ أن كان جنيناً وقبل ولادته وعدم دراية أسرته بالرعاية الصحية له، لكن رغم وجود هذه الأسباب فإنّه في حالة مرضه لا بد من معالجته أو اتخاذ الوسائل الوقائية قبل حدوثه وهو ما سوف يعالج في المبحث الثاني.

⁵¹ الشيخ شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطب النبوي، المكتبة التوفيقية، جامع الأزهر، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة 2013، ص: 33.

⁵² محمود ناظم النسيمي، الطب النبوي والعلم الحديث، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة وبدون سنة، ص: 162.

⁵³ أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً، رقم الحديث 5678، ص 1441.

المبحث الثاني: مظاهر الرعاية الصحية للطفل المريض في ظل الشريعة الإسلامية

لقد بيّن القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة كيفية الاعتناء بالطفل صحيا وتقديم العلاج الضروري له وفي أسرع وقت ممكن، و قد كرّس فقهاء الشريعة الإسلامية هذه المبادئ في ميثاق سمي بميثاق الطفل في الإسلام الذي اعتمد على المرجعية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما جاءت نصوصه القانونية وفقا للمبادئ الأساسية التي تحكم كل ما يتعلق بالطفل، وعلى رأسها الرعاية الصحية له، أما فيما يخص بالتشريعات والإجراءات المتخذة في تطبيقه فقد ترك أمر تنظيمها لكل دولة معنية بهذا الميثاق⁵⁴، وقد تحدّثت عن هذه الرعاية الصحية المادة 9 منه بقولها: " للطفل حق التمتع بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه، وله حق استخدام مؤسسات الوقاية والعلاج وإعادة التأهيل "، وتتمثل الرعاية الصحية في الخدمات الوقائية والعلاجية والتأهيلية التي تعنى بصحة الفرد والمجتمع، بمستوياتها الأولية والثانوية والتخصّصية. يتم التعرّض إلى الرعاية الصحية الوقائية في المطلب الأول، أما المطلب الثاني فيكون حول الرعاية الصحية العلاجية والتأهيلية.

⁵⁴ وافق مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف على " ميثاق الطفل في الإسلام " الذي أصدرته اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، بمشاركة يوسف القرضاوي، الداعية الإسلامي، وأحمد العسال، الرئيس السابق للجامعة الإسلامية بباكستان، وسعاد صالح أستاذة بجامعة الأزهر، وفتحي لاشين، وعدد من المختصين من علماء الشريعة والقانون والتربية والاجتماع.

المطلب الأول: الرعاية الصحية الوقائية

أمرت الشريعة الإسلامية بالوقاية الصحية أو بالطب الوقائي قبل حدوث المرض، وبيّنت المظاهر التي يتجلى فيها ذلك وأهمها، الغذاء الصحي المتوازن، الالتزام بقواعد النظافة، وممارسة الرياضة، واجتناب تعاطي الخمر والتدخين والمخدرات، كل هذه المظاهر سوف تعالج في الفروع التالية:

الفرع الأول: الغذاء الصحي المتوازن

لا يستطيع الطفل الحياة من دون غذاء، فالغذاء أساس لحياة الطفل ونموه منذ أن يكون جنينا في بطن أمه ثم بعد ولادته، ومن الغذاء يبني جسم الإنسان وأعضاؤه وأجهزته، ويتم تعويضه عما يفقده من أنسجة، كما يقوم الغذاء بتزويد الجسم بالطاقة التي تمكنه من الحركة والنشاط والجري والعمل في مجال الأنشطة المختلفة⁵⁵.

لقد قدّم لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد الغذاء الصحي بأسلوب علمي بحث⁵⁶، ينبغي على الأسرة أن تتبعه عند إطعام أبنائها إذ يكرّس مبدأ النظام

⁵⁵ بشيري مصطفى، أثر التعاليم الدينية على صحة الإنسان، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية 2015 / 2016، ص 53.

⁵⁶ قد كان النبي صلى الله عليه وسلم منتظما في أغذيته إذ لم يكن يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض، ولا بين غذائين حارين، ولا باردتين، ولا لزجين، لا قابضين، ولا مسهلين، ولا غليظين، ولا مُرخحين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفين، كقابض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شوى وطبيخ، ولا بين طري وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن، ولم يكن يأكل طعاما في وقت شدّة حرارته، ولا طبيخا باتنا يسخن له بالغد، ولا شيئا من الأطعمة العفنة والملحة، كالكوامخ والمخلّلات، والملوحات، وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال.

راجع الشيخ شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطب النبوي، المرجع السابق، ص 125.

الغذائي⁵⁷ في قوله: " الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعِّي وَاحِدٍ وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ " ⁵⁸، كما حذرنا الله تعالى من عدم الإسراف في الطعام والشراب تجنباً للأمراض في قوله تعالى: " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " ⁵⁹، وقوله عليه الصلاة والسلام: " مَا مَلَآ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُتَمَنَّ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِطَعَامِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ " ⁶⁰، مما يدل على أن الاعتدال في الأكل وتعويد الطفل عليه وقاية له من الأمراض الكثيرة كالبدانة والداء السكري وغيرها من الأمراض.

قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الترهيب من الإكثار من الشبع، و أن ذلك سبب للتألم بالجوع يوم القيامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تجشأ رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ " ⁶¹، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا، أَطْوَهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ⁶²، وهذا دلالة على إنكاره للشبع حتى التخمة، لذلك قالت العرب: " الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعودوا كل جسم ما اعتاد ".

⁵⁷ من نعم الله تعالى على عباده أن نزع مصادر هذه المواد الغذاء المفيدة لحياة الإنسان، من لحوم بأنواعها ونباتات وفواكه وخضر وغير ذلك من الطيبات التي أحلها الله لقوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَحَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ تُسْفَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"، سورة الرعد، الآية رقم 4.

⁵⁸ أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل من معي واحد، رقم الحديث 5393، ص 1374.

⁵⁹ سورة الأعراف، الآية رقم 31. و يقول الله تعالى في سورة طه آية رقم 81: " كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ " .

⁶⁰ أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، الحديث رقم 2380 .

⁶¹ والجشأ هو صوت مع ربح يخرج من الإنسان عند الجشع.

⁶² أخرجه الترمذي، صفة القيامة والرفائق والورع، الحديث رقم 2478 .

كما نبهنا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهمية شراب العسل لما فيه من علاج وقائي، ويمكن تناوله منفرداً أو ممزوجاً بالماء البارد نظراً لما له من فوائد صحية لا يعرفها إلاّ أفاضل الأطباء⁶³، فإنّ شربه ولعقه على الريق يُذيب البلغم، ويغسل مَخْل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلَى والمثانة، وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها، وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدّته وحدة الصفراء، فرمما هيّجها، ودفع مضرّته لهم بالخُلّ، فيعود حينئذ لهم نافعاً جداً، وشربه أنفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر أو أكثرها⁶⁴، وهنا يقول الله تعالى: "وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁶⁵، فعسل النحل يتركب من تسع عشرة مادة حيويّة ومفيدة لجسم الإنسان تغذية ووقاية وعلاجاً.

⁶³ فقد توصل الطب الحديث إلى أنّ عسل النَّحل مصدر جيد للطاقة، فضلاً على أن تناول 25 غراماً منه يفيد في علاج التهاب الكبد الحاد، والأمراض الكبدية المزمنة؛ بل وسرطان الكبد الأولي، وبذلك نقي المريض من الحقن بزيجاجات الجلوكوز الكبيرة، وما يصاحبها من عبء على المريض والطبيب؛ بالإضافة إلى ذلك نجد أنّ العسل استخدم في الطب الشعبي القديم لعلاج مختلف الأمراض، أهمها: علاج الجروح، وأمراض الجهاز الهضمي، وأمراض القلب والرئتين، وبعض أمراض الجهاز العصبي، وبعض الأمراض النفسية، وأمراض الكلى، وبعض أمراض الأطفال كالبرد والزكام، الكساح والتهاب الحلق، لدرجة أنّ أحد العلماء يعتقد أنّ استخدام العسل يومياً يجب أن يصبح قانوناً للإنسان".

⁶⁴ الشيخ شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطب النبوي، المرجع السابق، ص: 126.

⁶⁵ سورة النحل، الآية رقم 68 و 69.

الفرع الثاني: الالتزام بقواعد النظافة

لقد اعتنى الإسلام بالنظافة عناية كبيرة، لما لها من أثر عظيم على صحة الأفراد، وسلامة الأبدان ونظارتها فهي عنوان المؤمنين، وسمة من سمات المسلمين وهذا ما أجمع عليه الفقهاء⁶⁶، مستدلين في ذلك لقوله تعالى: " مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"⁶⁷، فهذه الطهارة التي أمرنا بها الله تعالى ليست إرهاقا لنا، و لا فيها مشقة، وإنما هي نعمة من نعمه التي لا تحصى، ولهذا فهي تستحق الشكر. والإسلام ينظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من الإيمان، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"⁶⁸.

إنّ مبدأ النظافة يشمل كل أعضاء البدن دون تخصيص كما يشمل البيئة بكل عناصرها، فعلى الأسرة أن تحرص على نظافة أطفالها وتحثهم على أهميتها كالاستحمام لتطهير البدن من الأوساخ والبكتيريا المتراكمة على الجلد، فيجب الغسل على كل من وجدت به رائحة كريهة يتأذى بها الناس، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: " حقُّ لله على كلِّ مسلمٍ، أن يغتسلَ في كلِّ سبعةِ أيَّامٍ، يغسلُ رأسه وجسده"⁶⁹، فالإغتسال الذي يقصده الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث هو الإغتسال لنظافة الجسد و تنقيته وهو يخص كل صغير وكبير وليس الإغتسال

⁶⁶ وائل سعيد زكي أبو زيد، الأوبئة وأثرها على المجتمع، دراسة فقهية طبية مقارنة مكتبة الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2014، ص: 138

⁶⁷ سورة المائدة، الآية رقم 6.

⁶⁸ أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، الحديث رقم 9، ص: 13.

⁶⁹ أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من يشهد الجمعة غسل من النساء و الصبيان وغيرهم؟ 12، الحديث رقم 898.

للحنابة، وهذا يدل على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالنظافة وجعلها في المقام الأول، مؤكداً لقول الله تعالى: "وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ... "70.

كما حثَّ عليه الصلاة والسلام على غسل اليدين عند الأكل، فعن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بَرَكَهُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَوُضُوءُ بَعْدَهُ"، أي غسل اليدين والضم قبل الطعام، وغسل اليدين والضم بعد الطعام، لكن الوضوء المقصود هنا ليس وضوء الصلاة، وإنما وضوء الطعام⁷¹، لأنَّ الطفل قد يمسك شيئاً غير نظيف، أو يلعب بألعاب غير معقمة، وغير ذلك من الأشياء التي يتعامل معها فتنتقل إلى جسمه بكتريا كثيرة وهو يتناول الغذاء أو يلامس جسده فيصاب بأمراض، ووقاية لذلك لا بد من غسل اليدين قبل الأكل وبعده، بل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبعد من ذلك حيث أكد على انتقال الأمراض إلى الطفل إذا نام ولم يغسل يديه حيث قال: "مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحٌ غَمْرٍ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلَا يُلْوَمَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ". والمقصود هنا "وفي يده غمر" بفتح الغين المعجمة، والميم بعدها راء: ريح لحم، أو دسمة، أو وسخه، فيؤذي نفسه بمرض ما⁷²، كما نوه إلى غسل اليدين قبل الاستيقاظ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ"⁷³.

⁷⁰ سورة الأنفال، الآية رقم 11.

⁷¹ أخرجه الترمذي، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في الطعام قبله وبعده، الحديث رقم 1846.

⁷² مركز الفتوى، رقم الفتوى: 297889، بتاريخ الأربعاء 7 شعبان 1436 - 27-5-2015، التابع

لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

⁷³ أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستحمام وترا، الحديث رقم 162، ص 23.

كما حتّى على رعاية صحية وقائية أخرى و هي نظافة الأسنان والفم بالسواك حتى لا يصاب بالأورام وبعض الأمراض كالسرطان بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرَضَةٌ لِلرَّبِّ"⁷⁴، والنظافة لا تتوقف عند طهارة الجسد وإنما أيضا نظافة الثياب، إذ يقول تعالى: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ "⁷⁵.

من مظاهر النظافة في الشريعة الإسلامية أيضا سنن الفطرة، وهي عبارة عن بعض السلوكيات التي تعني بنظافة الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الفطرة خمس -أو: خمس من الفطرة- الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب"⁷⁶، والذي يهمننا من هذه السنن، هو الختان و تقليم الأظافر أما ما تبقى منها فيتعلق بالبالغ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالختان حتى لا يصاب الطفل بالالتهابات والأمراض السرطانية، أما عن تقليم الأظافر، فقد تتراكم الفضلات والجراثيم والنجاسات تحتها، وذلك يتنافى مع الطهارة المطلوبة، فضلاً عما قد تُحدثه من آثار صحية سلبية.

الفرع الثالث: الالتزام بقواعد الرياضة

إنّ البناء الصحي للطفل يقف على رياضة السباحة والرمية وركوب الخيل والمصارعة والجري، ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الإنسان إلى ممارسة الأنشطة الرياضية لما لها من فوائد صحية ونفسية وعقلية وجسدية⁷⁷، كما قرّر للطفل حقه في

⁷⁴ رواه الدارمي، كتاب الطهارة، باب السواك مطهرة للفم، الحديث رقم 711.

⁷⁵ سورة المدثر الآية من 1 إلى 5.

⁷⁶ أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، الحديث رقم 257، ص 134.

⁷⁷ من فوائد الرياضة على صحة الإنسان أنّها تقيه من الإصابة بأمراض القلب، تُقلل من نسبة الإصابة بمرض السكري، تُخفف من نسبة التوتر والعصبية، تُنظّم الوزن وغيرها من الفوائد.

اللعب الذي له علاقة وطيدة بالرياضة باعتبارها جزء لا يتجزأ من العملية البنائية والتربوية لدى الأطفال، فكان يحث عليه الصلاة والسلام الأطفال على إجراء المسابقات ورياضة المصارعة⁷⁸ ويكافئهم على ذلك ففي مسند أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس رضي الله عنهم، ثم يقول: من سبق فله كذا وكذا... قال فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدرة ويقبلهم ويلتزمهم⁷⁹.

كما بيّن عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحاديث أهمية الرياضة في حياة الإنسان وجعلها وسيلة لاكتساب القوة البدنية و الروحية وفي نفس السياق قدّم أنواع الرياضات التي لها دور كبير في إكساب هذه القوة، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ " ⁸⁰ ، كما جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن نافع أنه قال: " سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر يقول: " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " ⁸¹ ، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ومن الرياضات التي وردت في التوجيهات النبوية أيضاً: الفروسية والسباحة والمبارزة..إلخ.

⁷⁸ قد كانت المصارعة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام منافسة تظهر قوة الرجال بحيث يلقي أحد المنافسين الآخر أرضاً دون إيذاء أو ضرر أو سخرية منه، - وليس كما هو الحال الآن بحيث تحولت إلى إلحاق أضرار مادية ومعنوية بالمتصارعين وهذا غير جائز من الناحية الشرعية - ، كما فعل الرسول مع ركانة حيث كان رجلاً اسمه ركانة بن زيد صارح الرسول عليه الصلاة والسلام وكان أقوى الرجال في المدينة، فصرعه النبي عليه الصلاة والسلام.

⁷⁹ الرياضة في الإسلام، منشور بالموقع الإلكتروني: <http://articles.islamweb.net>

⁸⁰ أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله 34، الحديث رقم 2664، ص 1229.

⁸¹ سورة الأنفال الآية: رقم 60.

فالرياضة البدنية هذه تبني جسم الطفل بشكل قوي، بحيث يقوى على التصدي للأمراض بشكل ذاتي، ويصبح جسمه ممتنعاً ذاتياً عن قبول الأمراض، إلا إذا أراد الله شيئاً آخر، وابتلاء آخر⁸².

المطلب الثاني: الرعاية الصحية العلاجية وإعادة التأهيل الصحي

زيادة على ما أولته الشريعة الإسلامية من عناية صحية وقائية شاملة للطفل فإنها لم تهمل الجانب العلاجي له إذا أصيب بمرض معين، فأمرت أسرته بعلاجه وبذل عناية كبيرة في الوصول إلى شفاء أو التخفيف من الألم، خاصة وأنّ رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالتداوي لما روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بالحرام"⁸³، ولحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: "تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحد"، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: "الهزم"⁸⁴.

بناء على ذلك، ينبغي تمكين الطفل المريض من تقديم له الخدمات العلاجية التي تتوفر في مراكز استشفائية على مستويات مختلفة حسب طبيعة المرض، وسيتم توضيح ذلك في الفروع التالية.

الفرع الأول: الرعاية الصحية العلاجية

⁸² محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، المرجع السابق، ص 381.

⁸³ أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المَكْرُوهة، الحديث رقم: 3378.

⁸⁴ أخرجه الترمذي، باب ما جاء في الدواء و الحث عليه، الحديث رقم 2109، الجزء الثالث، ص 258.

تتمثل الرعاية الصحية العلاجية، في تلك الخدمات العلاجية التي تقدم للطفل المريض كالرعاية الصحية الأولية⁸⁵ الأساسية، كخدمات الفحص الدوري للطفل، لمتابعة النمو الجسدي والنفسي والتغذية، والكشف المبكر للأمراض والتدخل لعلاجها، توفير برنامج موسع للتطعيمات لجميع الأطفال منذ الولادة مع إضافة تطعيمات جديدة عند الحاجة إليها للوقاية من الأمراض المعدية و غير المعدية، وبهذا الخصوص جاءت أحاديث كثيرة تبين كيفية الوقاية من الأمراض المعدية ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "لَا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحِّ"⁸⁶، وقوله عليه الصلاة والسلام "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ فِي أَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا"⁸⁷، والمقصود بهذين الحديثين هو ضرورة الأخذ بقاعدة الحجر الصحي أو العزل الصحي، بهذا يكون النبي عليه الصلاة والسلام أول من أرسى هذه القاعدة التي تعتبر من التدابير الوقائية والعلاجية تجاه العدوى والأمراض البوائية، مع السعي إلى توفير الوسائل الوقائية الأخرى كتوفير المياه النقية والتغذية الصحية الكافية والبيئة السليمة غير الملوثة.

كما قد يخضع الطفل للعلاج داخل المراكز الصحية العامة أو المتخصصة الموكول إليها العناية الصحية التامة به. وهذا ما يؤكد على ضرورة أخذ الطفل المريض إلى الطبيب لعلاجه دون تهاون أو إهمال من قبل المشرفين عليه، أخذا بتوجيه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام في الإسراع في معالجة الطفل المريض، لأنها من العلاج الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان، لذا وجب المحافظة

⁸⁵المقصود بالرعاية الصحية الأولية هي الرعاية الصحية الأساسية التي تُتاح على نحو شامل للأفراد والأسر في المجتمع المحلي بوسائل يمكنهم قبولها وبمشاركتهم الكاملة ويتكاتف يمكن لأفراد المجتمع المحلي وسكان البلد قاطبة تحمّلها، عن منظمة الصحة العالمية 2018.

⁸⁶أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، الحديث رقم5774، ص 1461.

⁸⁷أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الحديث رقم5728، ص 1451.

على هذه الأمانة⁸⁸. وكذا التعامل مع الطفل المريض بكل أدب واحترام وكرامة وإنسانية⁸⁹.

الفرع الثاني: إعادة التأهيل الصحي

تخص مراكز إعادة التأهيل الصحي فئة معينة من الأطفال بحاجة إلى تأهيلهم صحيا نظرا للعجز الذي يعانون منه والذي تتعدد أسبابه، فقد يكون الطفل معاقا أو مدمنا على مخدرات أو مصابا بمرض نفسي أو عقلي أو يعاني من مشاكل النمو، أو تعرّض لحادث مرور وغيرها من الأسباب الأخرى، فإنّه في مثل هذه الحالات يعاد تأهيله بتفلسم له علاجات طبية دقيقة ورعاية صحية قد يطول أجلها.

لم تغفل الشريعة الإسلامية الجانب الصحي في حياة المسلم بل عالجته من خلال منهجية واضحة وإرشادات نبوية تضمن سلامة الفرد والمجتمع من الآفات والمشاكل الصحية، في قول الله تعالى: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"⁹⁰، ولهذا حرمت الشريعة الإسلامية الآفات الصحية التي تؤثر على صحة الإنسان، ومنها الخمر إذ يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

⁸⁸ محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، المرجع السابق، ص 380.

⁸⁹ بلحاح العربي، الحدود الشرعية والأخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في ضوء القانون الطبي الجزائري، دراسة

مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2011، ص 30.

⁹⁰ سورة البقرة: الآية رقم 195 .

وَيُصَدِّدُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ" ⁹¹، وتحريم الخمر يقاس على كل الآفات الاجتماعية من مخدرات و تبغ وغيرها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البتع فقال: " كُلُّ شَرَابٍ أُسْكِرَ، فَهُوَ حَرَامٌ " ⁹².

كما يلاحظ أيضا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالعلاج حيث روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِجْحَمٍ، وَكَيْتَةِ نَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّْ " ⁹³. وقد وسّع الفقهاء تفسير شَرْطَةِ مِجْحَمٍ ليست الحمامة وحدها وإنما كل جراحة يخضع لها الإنسان من أجل العلاج فهي جائزة.

إذن، خلاصة القول، أنّ الشريعة الإسلامية أمرت بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج، وجعلت من الواجبات الشرعية على كل إنسان في حق نفسه أن يتعاطى من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والعلاج ما يحفظ وجوده، على الوجه الذي يكون به قويا لأداء مهامه في الحياة ⁹⁴.

⁹¹ سورة المائدة: الآيتان رقما 90 و 91.

⁹² أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل، الحديث رقم 3848، ص 1420؛ وأخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أنّ كل مسكر خمر وأنّ كل خمر حرام، الحديث رقم 2001/67، ص 963.

⁹³ أخرجه البخاري، كتاب الطب 76، باب الشفاء في ثلاث، 3، الحديث رقم 5680، ص 144.

⁹⁴ يوسف حامد عالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الثالثة، سنة 1997، ص 271.

الخاتمة:

أولى الإسلام الرعاية الصحية للطفل رعاية فائقة، إذ أوجب على الأسرة تمكين الأبناء من اكتساب القوة البدنية حتى يستطيعوا مواجهة الحياة، والقيام بالتكاليف الشرعية، إذ جاءت الأحاديث النبوية الشريفة منهاجا دقيقا في إرساء القواعد الصحية التي تحافظ على قوة الجسم من خلال الالتزام بقواعد النظافة والتنظيم الغذائي المتوازن و المتنوع، والوقاية من الأمراض والعدوى، و مبدأ التداوي منها في الإطار الشرعي.

لا يمانع الإسلام بأخذ ما هو نافع للإنسان إذا كان لا يتعارض مع الأحكام الشرعية ولا مانع مع القاعدة التي تقول الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق الناس بها، وهذا ما نجده في بعض أنواع الرياضات التي أصبحت تمارس في وقتنا الحالي و لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا في استعمال الوسائل الوقائية و العلاجية الحديثة وأماكن تطبيقها كالمستشفيات.

أنَّ التوجيهات النبوية الصحية والطبية تعتبر نبراسا غير التوجه العصري في المجال الطبي، إذ توصل الأطباء والعلماء إلى أنَّ الطب النبوي هو المرجع الأول السليم في

إرساء القواعد الصحية، وبالتالي لقد تأكّد قول الرسول صلى الله عليه وسلم على أنّ لكل داء له دواء إلاّ الموت.

بناء على ما سبق تحليله من مظاهر النظافة، تبيّن من خلال آراء فقهاء الشريعة الإسلامية أنّ البول، والبراز، والدم، والقيء، والخمر، ولُعاب الكلب، ولحم الخنزير، والميتة، وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت، هي مواد نجسة - وما يعبر عنها في وقتنا الحالي بالميكروبات والطفيليات - تنجّس الأشياء التي قد تصيبها كالثوب، أو الجسم، أو الطعام، أو الشراب و غيرها من الأشياء التي يستعملها الطفل أو يعيش عليها، ينبغي إزالتها وتطهيرها بالماء الجاري أو غليها على النار، أو تطهيرها بالتراب وهي وسائل طبية وقائية نادى بها القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام، وبالتالي فإنّ الشريعة الإسلامية هي أول من أرست قواعد الرعاية الصحية الوقائية والعلاجية، وهذا ما أثبتته العلم الحديث.

لقد قرّر الإسلام مبدأ التداوي، وأمر به، وحثّ الأطباء على البحث عن الدّواء وإجراء البحث و التجارب العلمية التي توصلهم إليه، بقوله عليه الصلّاة والسّلام في الحديث: " لكلّ داءٍ دواءٌ، فإذا أصابَ دواءُ الدّاءِ، برئَ بإذن الله"، وهذا دلالة على ثقة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بوجود لكل مرض يصيب الإنسان علاجا يناسبه إلاّ الموت، وهذا يتوقف على مثابرة واجتهاد فقط كأنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام بذلك يريد من الأطباء المسلمين في تحديد الدواء لكلّ مرض، ومقداره ونوعه وكمّيته أو جرعاته، وبالتالي التأكيد على الإعجاز العلمي الطبي في الإسلام.

المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المراجع:

المراجع الفقهية:

- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2002.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة 1421 هـ - 2000 م.
- _ الحافظ أبي عسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، الجزء الثالث، مطبعة الفجالة الجديدة، المدينة المنورة، بدون طبعة بدون سنة.
- الشيخ شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن القيم الجوزية، الطب النبوي، المكتبة التوفيقية، جامع الأزهر، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة 2013.
- الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الامام السندي، سنن النسائي، الجزء الثالث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، بدون طبعة بدون سنة.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بھرام بن عبد الصمد الدارمي، مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، تحقيق، حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة 1412 هـ - 2000، الجزء الأول.
- فتاوى اللجنة الدائمة 22/329، التابعة للرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، بالمملكة العربية السعودية.
- مركز الفتوى، رقم الفتوى: 297889، التابعة لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون بدولة قطر.

المراجع العامة:

- أحمد محمد بدح وأيمن سليمان مزاهرة وزين حسن بدران، الثقافة الصحية، دار المسيرة، عمان، الأردن، بدون سنة و بدون طبعة.
- العربي بختي، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والاتفاقيات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون طبعة، سنة 2013.
- بلحاج العربي، الحدود الشرعية والأخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في ضوء القانون الطبي الجزائري، دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2011.
- خالد عبد الرحمن العك، تربية الأبناء و البنات في ضوء الكتاب و السنة، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، سنة 2005.
- سهيل حسين الفتلاوي، حقوق الإنسان، دار الثقافة، عمان، الطبعة الأولى، سنة 2007.
- شفيق علاونة، سيكولوجية التطور الإنساني، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2004.
- صالح محمد علي أبو جادو، علم النفس التطوري، الطفولة و المراهقة، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2004.
- عبد الرحمن عبيد مصيقر، تغذية الطفل في الخليج العربي، مضامينها الاجتماعية والتربوية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، بدون طبعة، سنة 1990.
- عبد العزيز مخيمر عبد الهادي، حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية و القانون الدولي دراسة مقارنة، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، سنة 1994.
- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الغذاء، دار الراتب الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2000.

-عروبة جبار الخزرجي، حقوق الطفل بين النظرية و التطبيق، دار الثقافة، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2009.

- محمد زرمان، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، دار إقرأ، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 2002.

- محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العالمين، دار بن كثير، الطبعة الثالثة، سنة 2000.

- مفتاح محمد أقزيم، الحماية القانونية للجنين بين الفقه الإسلامي و القانون الوضعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بدون طبعة، سنة 2004.

-هالالي عبد الله أحمد، التزامات الحامل نحو الجنين بين التحريم الجنائي و الإباحة، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة 1992.

- وائل سعيد زكي أبو زيد، الأوبئة وأثرها على المجتمع، دراسة فقهية طبية مقارنة، مكتبة الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة 2014.

__ يوسف حامد عالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الثالثة، السنة 1997.

المقالات:

- عبد العزيز إسماعيل أحمد، الإسلام وحقوق الطفل"، مجلة الإسلام، العدد 69، السنة الثامنة عشر، 1997.

- ليلي عبد الله سعيد، حقوق الطفل في محيط الأسرة، دراسة مقارنة، مجلة الحقوق، جامعة الكويت، الكويت، العدد 3، السنة الثامنة، 1984.

- أحمد حلمي محمد، التربية الصحية، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1997.

الرسائل والأطروحات

_ بشيري مصطفى، أثر التعاليم الدينية على صحة الإنسان، رسالة ماجستير، تخصص فنون، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية 2015 - 2016.

_ بنزيطة أمحمد، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية قسم الشريعة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006-2007.

المواقع الالكترونية:

- التغذية الصحية السليمة، تاريخ الاطلاع 2018/06/03، على الساعة 22.00. منشور بالموقع الإلكتروني: <http://faculty.ksu.edu.sa>

- الشراهة والسمنة عند الاطفال، تاريخ الاطلاع 2018/05/06، على الساعة 12.00. منشور بالموقع الإلكتروني: <https://v.3bir.net/>

- إفراط الطفل في الأكل يرتبط بثقافة الأسرة، تاريخ الاطلاع 2018/06/03، على الساعة 11.55. منشور بالموقع الإلكتروني: <http://www.alittihad.ae>

- عادل الصعدي، سنن الفطرة، صادر عن جامعة الإيمان، دولة اليمن "صنعاء"، تاريخ الاطلاع 25 ماي 2018 على الساعة 12.00. على الموقع الإلكتروني: www.jameataleman